مُهِمَّةُ المَسْجِدِ فِي عَهْدِ النُّبُوَّةِ
وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الآنَ

بقلم

دكتور

محمود يوسف كريم

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين (بالقاهرة)

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه .

وبعد :

فقد أرسل الله رسوله محمداً — ﷺ — شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فبلغ الرسالة، وكان المثل الأعلى للناس فى دعوته وعبادته، وفى سلمه وحربه، ومع أهله وأصحابه، فكان صورة حية يتمثل فيها قول الله — «وإنك لعلى خلق عظيم»(١) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(٢).

والدعوة إلى الله حياة الأديان، فما قام دين، ولا ثبت مبدأ إلا بالدعوة إليه ولا تداعت ملة، ولا درست طريقة، ولا تلاشت شرعة بعد قوة إلا بترك الدعوة حتى المذاهب الحقة تتضاءل وتزول بإهمال الدعوة إليها، ولو كان الحق يقوم بنفسه، وينشر بذاته لما فرضت الدعوة إليه ولما كان هناك حاجة إلى الأنبياء والمرسلين، والعلماء العاملين، والمرشدين الناصحين، ولما كانت الدعوة إلى الله أحسن القول، ولما أمر نبيه — عليه الصلاة والسلام — أن ينبه إلى أن طريقته ومن كان قبله هى الدعوة إلى الله على بصيرة كما جاء فى قوله تعالى : «قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين»(٣) .

(١) ن : ٤

(٢) رواه ابن ماجة

(٣) يوسف : ١٠٨

وفى هذا البحث نحاول إبراز الدور الذى قام به المسجد فى عصر النبوة، والعصور التى بعده . ثم رسالة المسجد فى العصر الحديث موضحين كيف حول المجتمع من ظلمات الكفر والجهل والفوضى إلى نور الإيمان والعلم والنظام .

وقبل أن ندخل فى موضوعنا نلقى نظرة سريعة على الكيفية التى تم بها بناء المسجد النبوى الشريف فنقول : —

بناء المسجد : —

نزل رسول الله — ﷺ — المدينة يوم الجمعة الثانى عشر من ربيع الأول فى السنة الأولى من الهجرة بعد أن أقام فى بنى عمرو بن عوف أربعة أيام، فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فجمع بهم فى المسجد الذى فى بطن الوادى، ثم ركب ناقته، فلم تزل سائرة به لا تمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا فى النزول عليهم، فيقول عليه الصلاة والسلام : « دعوها فإنها مأمورة » فسارت حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم، وبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا، ثم التفتت فرجعت فبركت فى موضعها الأول فنزل عنها، وذلك فى بنى النجار أخواله ﷺ .

وكان هذا المكان مربدا لسهل وسهيل — غلامين يتيمين من الأنصار كانا فى حجر أسعد بن زرارة — فاشتراه الرسول — عليه الصلاة والسلام — بعشرة دنانير، وقام عليه الصلاة والسلام وأصحابه بتسويته وإعداده للبناء عليه، وبنى المسجد بالطوب اللبن، وكان عليه الصلاة والسلام يبنى معهم، وينقل الحجارة واللبن بنفسه ويقول : « لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والأنصار »(١) .

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص ١١٤، ١١٥

وما إن تم البناء حتى بدأ المسجد يؤدى المهام التى بنى من أجلها وهى كثيرة ومتنوعة أهمها وأعظمها نفعا للمسلمين مايلى : —

أولا : آداء الصلوات الخمس والجمع .

حيث يلتقى المسلمون مع بعضهم فى المسجد يجمعهم هدف واحد هو مرضاة الله — عز وجل — فيدخلون المسجد بقلوب متفتحة للإيمان ، منطلقة إلى السماء متحلية بالخشوع والخضوع لله — عز وجل — منسلخة من أغيار الدنيا وشهواتها ثم يقومون صفا واحدا يستوى فيه الكبير والصغير ، والغنى والفقير ، أقدامهم متراصة ، وأكتافهم متزاحمة ، وجباههم على الأرض ، يستوون فى شرف العبودية وفى العبادة .

ثانيا : مكان للتشاور بين المسلمين .

ففى عظائم الأمور ينادى : الصلاة جامعة ، فيجتمع المسلمون فى المسجد ويتشاورون فى أمورهم مثل إعداد العدة للدفاع عن المدينة ، أو الذهاب لملاقاة الأعداء خارجها ، أو مبايعة الخليفة البيعة العامة بعد أن تم اختياره لإدارة شئون المسلمين الدينية والدنيوية ، ثم يقوم الخليفة فيصعد المنبر فيخطب خطبة يشرح فيها المنهج الذى يسير عليه مدة خلافته على المسلمين كما فعل أبو بكر — رضى الله عنه — عندما بويع البيعة العامة فى المسجد فقام وخطب فى الناس قائلا : « إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى الصدق أمانة ، والكذب خيانة إلى أن قال : قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله » (١) .

وهكذا فعل الخلفاء الراشدون من بعده .

(١) الخلفاء الراشدون للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣٣

ثالثا : مكان لسكنى فقراء المهاجرين (أهل الصفة)

يقول الله — تعالى — « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لايستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس إلحافا وماتنفقوا من خير فإن الله به عليم » (١) .

يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : يعنى المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم مايغنيهم (٢) .

ومن المعروف أنه عليه الصلاة والسلام كما قام ببناء المسجد مركز التجمع والتآلف قام بعمل آخر من أروع مايأثره التاريخ وهو عمل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية ، فلا حمية إلا للإسلام ، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن فلايتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه كما قال سبحانه : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٣) .

تم ذلك التآخى لمن سبق إلى الهجرة ، أما الذين تأخروا فى اللحاق بهم فلم يتمكنوا من الحصول على ماحصل عليه السابقون ، فبنى لهم النبى — ﷺ — مكانا فى مؤخرة المسجد ، فسمى المكان (صفة) ، وكان يأوى إليها كل من لا أهل له ولامال ، فيجعل لهم النبى — ﷺ — نصيبا من الزكاة والصدقات والهبات حتى يجعل لهم سبيلا إلى المعيشة الكريمة أو منزلا يأوون إليه .

(١) البقرة : ٢٧٣
(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٢٤
(٣) الحجرات : ١٣

وكان أهل الصفة قد بلغوا أربعمأة كما فى عوارف المعارف للسهروردى .

وجمع الجميع أبو نعيم فى الحلية وعدتهم تقرب من المائة .

وقد قال أبو نعيم : كان عدد أهل الصفة يختلف بحسب اختلاف الحال فربما اجتمعوا فكثروا وربما تفرقوا إما لغزو أو استغناء فقلوا (١) .

وكانوا يتعلمون القرآن ، ويصومون ، ويخرجون مع النبى — ﷺ — فى الغزوات ، وكان النبى — عليه الصلاة والسلام — يدعوهم إلى العشاء معه بالليل ، أو يفرقهم على أصحابه ليتعشوا معهم فى منازلهم .

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : « كنت من أهل الصفة ، وكنا إذا أمسينا حضرنا رسول الله — ﷺ — فيأمر كل رجل فينصرف برجل أو أكثر فيبقى من بقى عشرة أو أقل أو أكثر ، فيأتى النبى — ﷺ — بعشائه فنتعشى معه ، فإذا فرغنا قال : ناموا فى المسجد » (٢) .

ويتبين مما سبق أن الصفة مكان فى مؤخرة المسجد النبوى مظال أعد لنزول الغرباء فيه ممن لامأوى له ، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم ، أو يسافر ، وأن الرسول — عليه الصلاة والسلام — كان يجالسهم ، ويأنس بهم ، وكانوا فقراء ، وكان عليه الصلاة والسلام يطمئنهم بأن الله — سبحانه — سيجزيهم أحسن الجزاء على صبرهم ، وتحملهم شظف العيش ، وقسوة الحياة .

أسند يحى عن فضالة بن عبيد قال : كنا نصلى مع رسول الله — ﷺ — فيخر قوم من قامتهم من الخصاصة (الفقر والحاجة) حتى يقول

(١) فتح البارى ج ١١ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
(٢) نفس المرجع ص ٢٨٦ .

الأعرابى : مجانين ، وهم أهل الصفة ، فإذا صلى رسول الله — ﷺ — أتاهم فوقف عليهم فقال : لو تعلمون مالكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فقرا وحاجة (١) .

رابعاً : مدرسة للتعليم والتثقيف :

كان ﷺ إلى جانب محاربته للكفر فى كل مكان لايفوته أن يجلس فى المسجد للعلم والتعليم ، فيقبل على مجلسه هذا الرجال والنساء حتى شكت النساء من مزاحمة الرجال ، فطلبن من رسول الله ﷺ أن يجعل لهن يوما غير يوم الرجال ، فأجابهن إلى ماطلبن ،

« عن أبى سعيد : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، فقال : اجتمعن فى يوم كذا وكذا ، وفى مكان كذا وكذا فاجتمعن ، فأتاهن رسول الله — ﷺ — فعلمهن مما علمه الله ... ... الحديث (٢) .

وقد اختار النبى — عليه الصلاة والسلام — المسجد ليكون مركزاً للتعليم والتثقيف والتفقه فى الدين بتبليغ الوحى وتوضيحه فى خطب الجمعة ، ومجالس العلم . وفى كل فرصة تسنح له لأنه أنسب الأماكن لهذه المهمة العظيمة خصوصاً عند اجتماع المسلمين للصلاة فى جماعة كل يوم خمس مرات ، يجتمع منهم عدد كبير يصلح للتعليم والتوجيه ، وعدد أكبر يوم

(١) وفاء الوفا ج ٢ ص ٤٥٣

(٢) رواه البخارى فى باب تعليم النبى ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله ليس برأى ولا تمثيل .

الجمعة تلقى عليهم خطبه الجامعة وإرشاداته المتنوعة ، والتعليم ذكر الله سبحانه ، وتذكير به سبحانه ، وبدينه وشرعه .

وكان — عليه الصلاة والسلام — يعقد مجالس العلم فى مسجده ، ويتزاحم المسلمون عليها ، ويتنافسون فى القرب منه لتمام الإستفادة :

عن الحارث بن عوف أن رسول الله — ﷺ — بينما هو جالس فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله — ﷺ — فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله — ﷺ — قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه »[1] .

وقد حث النبى — عليه الصلاة والسلام — على حضور مجالس العلم فى المسجد فقال : ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده[2] .

وروى ابن ماجة عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله — ﷺ — يقول : من جاء مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه ، أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره .

إن مسجد رسول الله — ﷺ — كان يغذى القلوب والأرواح

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه مسلم :

بالصلاة والذكر . وقراءة القرآن . ويغذى العقول بالعلم والمعرفة الشاملة وهذان الغذاءان عليهما حياة الإنسان ، وفيهما قوته وشرفه .

ولعل ما جاء من النصوص فى القرآن والسنة يحصر فيها مهمة المسجد من ذلك قوله تعالى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار »[1] .

وما رواه مسلم عن أنس — رضى الله عنه — فى حديث الأعرابى الذى بال فى المسجد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر إنما هى لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن » .

المسجد النبوى بعد وفاة الرسول — عليه الصلاة والسلام —

ظل الصحابة بعد وفاة النبى — ﷺ — يتدارسون القرآن فى المسجد النبوى ويتذاكرون فيه الحلال والحرام ليتفقهوا فى الدين

روى الطبرانى عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أنه مر بسوق المدينة ، فوقف عليها فقال : يا أهل السوق ما أعجزكم ؟ قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة ؟

قال : ذاك ميراث النبى — ﷺ — يقسم وأنتم هاهنا ، ألا تذهبون فتأخذوا نصيبكم منه ؟ قالوا : وأين هو ؟ قال : فى المسجد . فخرجوا سراعا ووقف أبو هريرة لم يبرح مكانه حتى رجعوا ، فقال لهم : مالكم ؟ فقالوا

(١) النور : ٣٦ ، ٣٧

يا أبا هريرة قد أتينا المسجد ، فدخلنا فيه ، فلم نر شيئاً يقسم ، فقال أبو هريرة : وما رأيتم فى المسجد أحدا ؟ قالوا : بلى ، رأينا فيه قوما يصلون ، وقوماً يقرأون القرآن ، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام ، فقال لهم أبو هريرة : ويحكم ، فذاك ميراث محمد ﷺ .

استمر الأمر هكذا فى مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حلقات متصلة ودروس متتالية إلى أن أخذ الأمر نطاقا أوسع فى عهد التابعين فرأينا الفقهاء فى المدينة المنورة الذين استحقوا هذا الإسم عن جدارة واستحقاق لما عرف عنهم من الجد والاجتهاد فى نشر العلم وتبليغه . ومن هؤلاء سعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر ، ونافع مولى عبد الله بن عمر ، وكان يوصف بفقيه المدينة وقد نقل عن ابن عمر مولاه علماً كثيراً وعد محدثا ثقة .

ومنهم ابن شهاب الزهرى ، واسمه أبو بكر محمد بن مسلم المدنى من زهرة بن كلاب من قريش ، وهو الذى يعد رأس المدونين فى الحديث ، وواضع علم الحديث رواية ، ويلقب بأعلم الحفاظ حتى قال عن نفسه : ماصبر أحد على العلم صبرى ولا نشره أحد نشرى ، ومع نشاطه فى الحديث يعد من فقهاء المدينة من طبقة ابن هرمز وإخوانه[1]

(١) الدعوة إلى الإسلام ووسائلها د / سليمان الدبشة نقلا عن أعلام العرب ص ٩٧

رسالة المسجد بعد عصر الصحابة والتابعين

— رضى الله عنهم أجمعين —

هؤلاء العلماء وغيرهم مما لايتسع المقام للحديث عنهم أخذوا مكانهم فى المسجد النبوى ، ووفد إليهم الطلاب من كل مكان يتلقون عنهم العلم فى رغبة وأمانة وصدق ، ثم هم بدورهم ينشرون هذا العلم ويبلغونه للناس حتى تصل الدعوة الإسلامية إلى غايتها حسبما فرض الله — سبحانه — ذلك ، وأمر به ، ثم وجدت بعد ذلك على مر الأجيال والأزمان معالم وأعلام ، معالم لتلقى العلوم فى مكة المكرمة . والكوفة ، والبصرة ، ودمشق وبغداد ، والقاهرة ، وتونس ، وفاس ، وقرطبة . وبخارى ، وسمرقند ، وغيرها من البلدان الإسلامية التى كان بها المئات من المعاهد والكليات لأنواع متعددة من الدراسات الإسلامية .

وكل هذه العلوم والمعارف كانت منطلقاتها من المساجد الجامعة فى تلك البلدان . وقد كان يختار للدراسة فيها أعداد كبيرة من النابهين الأذكياء ، وتخرج منها الأعلام من القضاة العادلين ، ومن الدعاة إلى الله — تعالى — المخلصين . ومن المدرسين فى شتى أنحاء الأرض حاملين مشاعل العلم ، ومصابيح المعرفة يدعون إلى الله على بصيرة ، ويرشدون أمم الأرض شرقا وغرباً إلى هذا الدين وخصائصه ، هذا إلى جانب دراسة الطب والفلك والعلوم[1]

(١) رسالة المسجد . ربيع الأول ١٤٠٢ هـ يناير ١٩٨٢ م مقال تحت عنوان : المسجد وأثره فى الدعوة الإسلامية .

لكننا نجد بعد ذلك أن مهمة المساجد كمعاهد علمية ، وجامعات لشتى العلوم والمعارف قد تقلصت ، ولم يبق منهـا إلا أداء الصلوات الخمس والجمع فى جميع المساجد الجامعة وغيرها ، ووظيفة تدريس العلوم المختلفة ودراستها والتى حفلت بها المساجد الكبيرة فى كثير من الأمصار الإسلامية أزمانا طويلة ، وأجيالا متعاقبة حتى عهد قريب قد أهملت واندثرت ، ولم تبق إلا فى مساجد معدودة ومحدودة مثل المسجد الحرام فى مكة المكرمة والجامع الأزهر بالقاهرة .

والواجب على الحكومات والشعوب الإسـلامية أن يعودوا إلى الإهتمام بالمساجد ، وأن يجعلوها مراكز إشعاع للعلوم والمعارف المختلفة والمفيدة لتعودها مكانتها فى توجيه الأمة ، وتبصيرها بأمور دينها ودنياها ، ينطلق منها الدعاة المخلصون ، ويتخرج منها الأئمة المجتهدون .

ولم يكن الدعاة إلى الله فى يوم الأيام عبر مراحل التاريخ المختلفة إلا الطليعة المباركة فى قيادة الجماهير ضد الإحتلال ، وضد الغزو الصليبى سواء فى المشرق العربى ، أو المغرب العربى ، أو غيرهما يحثون شباب الأمة على خوض المعارك الفاصلة بين الحق والباطل ، ويبثون فيهم روح الشجاعة والإقدام ، ولا يخفى عنا ماقام به الإمام أحمد تقى الدين بن تيمية — رحمه الله — من دور بارز فى الحرب ضد التتار ، فقد كان يحث القادة والجنود وجماهير الأمة على الصمود ، والألفة ، والأخوة ، والتعاون فيما بينهم

وما قام به الإمام عز الدين بن عبد السلام — رحمه الله — بالمرابطة فى مواجهة الحملة الصليبية السابعة عـلى مدينة المنصورة ، فكان بخطبه الحماسية يدفع بالآلاف من الشباب لخوض المعركة دفاعاً عن الدين والوطن مما أدى إلى تحطيم هذه الحملة الشرسة ، وأسر قائدها .

كما لا ننسى ما قام به شيوخ الأزهر من الكفاح والجهاد ضد الحملة الفرنسية الغاشمة على مصر ، فقد كان هؤلاء العلماء يقودون الجماهير المصرية المسلمة بأنفسهم لمقاومة الغزاة المعتدين مما أدى إلى ضرب الأزهر بمدافع الفرنسيين ، وإعدام ثلاثة عشر من شيوخ الأزهر البارزين.

هذا قليل من كثير مما قام به المسجد من دور إيجابى ، فى السلم نشر للعلم والمعرفة ، وتخريج للعلماء والفقهاء والدعاة ، وفى الحرب حصن منيع ، ومنطلق لفصائل المجاهدين المخلصين المدافعين عن دينهم وأوطانهم .

رسالة المسجد فى العصر الحديث

من خلال ما تقدم رأينا كيف أثبت التاريخ الإسلامى أن المسجد لعب دوراً فعالا فى صلاح الأمة الإسلامية دينيـاً ، وتقدمها فكرياً وحضارياً على مختلف العصور يعرف ذلك كل من أمعن النظر فى حياة الرسول — ﷺ — ومن جاء بعده من الصحابة والتابعين .

ومساجدنا اليوم لا نرى فيها الملامح المشرقة لمسجد المدينة الأول ، وأخذ دورها يتضاءل مع عصور التأخر ، وغفلة المسلمين عن المؤامرات الأجنبية التى استطاعت فى فترة الضعف والتخبط أن تعمل على تعطيل منابع القوة والوحدة فى كيان الأمة المسلمة ، وكان أول وهن يصيب المسلمين هو انفصال حياة المسجد عن حياتهم وتعطيل شعائره فيما بينهم . فوهنت روح الدين فى نفوسهم ، وكان هذا الهدف الأكبر للإستعمار حين غزا بلاد المسلمين ، فجعل أول ضرباته تجريد المسجد من كل ألوان النشاط الدينى ، ومظاهر العبادة التى كان يقوم بها فى حياة المسلمين .

وكان ن أقام الإستعمار الكثير من الأندية ، ودور اللهـو ، والمؤسسات الترفيهية الماجنة ، فانصرف الشباب عن المساجد ، وذهب

إلى هذه الأماكن التى تعمل دائبة على تجريد الشباب من قيمه ومبادئه ، وقتل كل معالم الفضيلة والتقوى فيه حتى غدا لقمة سائغة لمخططات التخريب العقدى والأخلاقى وصدق الله إذ يقول: «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا»[1] .

ولذلك فإنه لن يصلح حال هـــذه الأمة إلا إذا عادت إلى القاعدة الأولى للدعوة الإسلامية وهى المسجد . وعادت به إلى الحال الذى كان عليه فى صدر الإسلام ، لأن المسجد ليس معبداً تقام فيه الصلوات ، ثم تقفل أبوابه بعد ذلك فحسب وإنما هو مصنع للرجال ، ومكان اللقاء بين الدين والدنيا لخلق المجتمع النقى النظيف كما قال سبحانه : «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين» [2] .

ونريد أن نقف على مدلول كلمـــة «عمارة» وما الأعمال التى تدخل فى مضمونها : —

يقول الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية : فشهد تعالى بالإيمان لعمار المساجد ، كما قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان ... الحديث.

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله — ﷺ — : «إنما عمار المساجد هم أهل الله» .

وعن أنس مرفوعاً يقول الله: وعزتى وجلالى إنى لأهم بأهل الأرض

(١) مريم : ٥٩

(٢) التوبه : ١٨ .

عذاباً فإذا نظرت إلى عمار بيوتى ، وإلى المتحابين فى ، وإلى المستغفرين بالأسحار صرفت ذلك عنهم[1] .

وقال الأستاذ محمد رشيد رضا: تطلق العمارة على عبادة الله فى المسجد، وعلى لزومه وعلى الإقامة فيه ، وعلى بنيانه وترميمه ، قال فى اللسان : عمر الرجل الله بمعنى عبده وعمر الرجل ماله وبيته يعمره « بالضم» عمارة وعموراً وعمرانا أى لزمه .

قال الراغب : ويقال عمرت بمكان كذا أى أقمت به قال العمارة نقيض الخراب وحفظ البناء[2] .

ويتضح مما تقدم أن كلمة عمارة فى الآية تتناول جميع معانيها التى تدل على العناية بالعبادة ، وبدار العبادة وهو المسجد ، وعلى النسك المخصوص المسمى بالعمرة وهى خاصة بالمسجد الحرام ، وعلى لزومه والإقامة فيه لخدمته الحسية ، وعلى بنيانه وترميمه ، وكل ذلك مراد هنا ، لأن اللفظ يدل عليه والمقام يقتضيه ، والمختار عندنا استعمال المشترك فى معانيه التى يقتضيها المقام تبعاً للشافعى وابن جرير[3] .

ومن هنا حث الإسلام على بنـــاء المساجد ، وتشييدها ونشرها فى الأرض إعلاء للتوحيد وإرغاماً للشرك ، وتقرباً لله عز وجل.

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن النبى — ﷺ — قال : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورثه أو مسجداً بناه»[4] .

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٠

(٢) تفسير المنار ج ١٠ ص ١٨٧ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) أخرجه ابن ماجة والبيهقى بسند جيد .

وفى صحيح البخارى عن عثمان بن عفان يقول : ... وإنى سمعت النبى — ﷺ — يقول : من بنى مسجداً — قال بكير : حسبت أنه قال — يبتغى به وجه الله ، بنى الله له مثله فى الجنة(١) .

ومن أبرز الأهداف التى يقوم بها المسجد على مر التاريخ الإسلامى هو ترسيخ الإيمان وزرع العقيدة فى نفوس المسلمين ، فالمسجد كان ولا يزال واحة الإيمان ، ودوحة العقيدة ، والمصلون رواد لهذه الرياض والبساتين يقطفون من خيرها ، ويجنون من ثمارها .

ولا ينبغى أن نقصر دور المسجد على الجوانب العبادية دون الجوانب الإجتماعية والسياسية والتعليمية وغيرها من الأمور الهامة ، ونحن فى عصر نحتاج فيه إلى توسيع نظرنا ، وتعميق فهمنا عندما نتناول قضايا الإسلام المعاصرة ويجب أن نعلم أن الإسلام اليوم يزاحم ويحاصر حتى فى عقر داره ، وأن مشاكل المجتمع الإسلامى كثيرة ومتنوعة ، إذ تطرح أنظمه ومناهج بديلة عن الإسلام وتجرى المحاولات الكثيرة لعزله وتنحيته ، وضرب الأستار الحديدية على نموه وحركته باسم الشيوعية تارة ، والإنحلال الذى تروج له الصهيونية العالمية وكلهم يقصدون بذلك الدين الأسلامى ، ويريدون القضاء عليه . فا المطلوب منا أمام هذا الغزو ، وهذه المؤامرات أن نطلق الإسلام من عقاله ، وأن نرفع شعاراته فى كل ميدان ، وأن نتخذ من المسجد قلعة نكر منها على أعداء الله ودينه المتربصين بالإسلام وأهله دوائر السوء ، وإن جندنا لهم الغالبون .

فى المجتمع الإسلامى مشاكل للعمال والفلاحين والتجار والموظفين ،

(١) رواه البخارى فى كتاب الصلاة .

وهم جميعا ينتظرون رأى الدين من خلال توجيهات الدعاة المخلصين ، لان كثيرا من هذه المشاكل تتعلق جذورها بالإيمان الكامن فى قلوبهم .

فى بعض المجتمعات الإسلامية زيادة عددية فى الافراد مع قلة فى الموارد ، وهى فى حاجة إلى توعية دينية قوية للعناية بالتربية والتهذيب والبحث عن العمل المثمر لتغطية مطالب الحياة ، والأخذ بسبل النهوض العلمى ، والوسائل الحديثة له فى هذه المجتمعات من كافة النواحى .

وفى المجتمع المعاصر تنتشر المخدرات والسموم القاتلة ، وتروج أفكار ومفاهيم تحاول أن تبرر هذه المحرمات بنوع من التأويل للقرآن والسنة .

والمسجد فى المجتمع المعاصر يستطيع أن يقدم خدمات جليلة عن طريق الدين الذى كان ولا يزال من المرونة والصلاحية بحيث يمكن أن يوجد حلا لكل مشكلة ، وحكما لكل حادثة وجوابا لكل سؤال ، والداعية الدينى المؤمن برسالته يمكنه تناول كل ما يحدث فى المجتمع تناولا يوضح المهم ، ويصحح الخطأ . ويقوم المعوج ، ويعالجه معالجة تساعد على بقاء الخير ، وإزالة الشر .

وهناك مواصفات حسية ينبغى توافرها فى المسجد حتى يؤدى دوره على أكمل وجه فلا بد أن تكون التهوية كافية ، وأن يكون فرشه مناسبا لجلاله ، وللمعنى الذى يؤدى فيه وأن تلحق به مكتبة مزودة بالكتب الدينية والثقافية الهامة يشرف على إداراتها موظف متخصص لتيسير الإطلاع عليها ، وأن تلحق به قاعة لإقامة المناسبات ووحدة علاجية متكاملة وبأسعار مخفضة كى يتمكن غير القادرين من العلاج فيها ، وأن تخصص فيه حجرة لفض المنازعات ، والإستفتاء فى الأمور الخاصة حفاظا على الأسرار ، ومنعا من التشويش على المصلين ، إلى غير ذلك من المواصفات الكثيرة والتى لا يتسع المقام لذكرها .

ونلاحظ أن هذه المواصفات المقترحة وغيرها مهمة وحيوية، وتمليها حاجة المجتمع الحديث الذى تطور فيه كل شىء، ووسائل الدعوة للإسلام جزء من هذا المجتمع بل هى الجزء المهم، فلابد من تطوير دوره ونشاطه فى إطار ما شرع الله — عز وجل — .

وقد رأينا كيف تحولت كنائس النصارى إلى مؤسسات ضخمة، ومرافق نشطة، تقدم للفقراء الطعام والملبس والتعليم والعلاج بالمجان، أو بأجور زهيدة جدا، ثم هى فى نهاية المطاف تدعوهم إلى النصرانية الباطلة مستغلة حاجة الناس، فيقع البعض تحت إغرائهم ومكرهم ويدخل فى شباكهم .

والمسجد — وهو منارة الحق والهداية — من باب أولى عليه أن يناقس الكنيسة فى هذا المضمار، وإن يتفوق عليها، وأهله مدعوون إلى تقديم الطعام واللباس والعلاج والعلم إلى الناس عبر المسجد ودور الدعوة، ثم هدايتهم إلى الإسلام وبذلك تتحقق سعادة الدنيا، والفوز فى الآخرة .

أسأل الله — العلى القدير — أن يوفق ولاة الأمـــور فى الدول الإسلامية للعمل على إعادة الحياة الإسلاميـــة للمسجد كما كانت فى عهد النبوة، فتعود له مكانته المشرقة، وينفع الله به الأمة فى دينها ودنياها إنه نعم المولى ونعم النصير .

وهو الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أهم المراجع

١ — القرآن الكريم .

٢ — كتب السنة .

٣ — تفسير ابن كثير .

٤ — تفسير المنار — الأستاذ محمد رشيد رضا .

٥ — فتح البارى شرح صحيح البخارى — أحمد بن على بن حجر العسقلانى .

٦ — وفاء الوفا باخبار دار المصطفى — نور الدين على بن أحمد السمهودى .

٧ — تهذيب سيرة ابن هشام — عبد السلام هارون .

٨ — الخلفاء الرشدون — عبد الوهاب النجار .

٩ — الدعوة إلى الإسلام ووسائلها — الدكتور سليمان الدبشه .

١٠ — رسالة المسجد — مجلة تصدها دوريا الأمانة العامة للمجلس الأعلى العالمى للمساجد (رابطة العالم الإسلامى — مكة المكرمة) العدد الخامس ربيع الأول ١٤٠٢ هـ يناير ١٩٨٢ م .

فهـرست الحولية

الباحث	الصفحة
المقـــدمة	٥ — ٦
١ — التطرف والتطرف المضاد فى الفكر الإسلامى المعاصر بقلم عميد كلية أصول الدين القاهرة	٧ — ٤٨
٢ — مسند الإمام أحمد بن حنبل بقلم وكيل كلية أصول الدين القاهرة	٤٩ — ١٠٨
٣ — المقياس العلمى للمفسر القسم الثانى بقلم أ . د . سيدمرسى إبراهيم البيومى	١٠٩ — ١٤٦
٤ — دحض أباطيل القاديانية فى النبوه الوحى بقلم أ . د . عبد العزيز سيف النصر	١٤٧ — ١٨٤
٥ — بحث فى موضوع الزينة فى القرآن بقلم د . محمد أحمد طه على	١٨٥ — ٢٣٨
٦ — تفسير التاريخ البشرى بين المادية والدعوة الإسلامية بقلم د . مصطفى أحمد أبو سمك	٢٣٩ — ٢٩٢
٧ — الحركة السهروردى بقلم د . مصطفى غلوش	٢٩٣ — ٣٤٢
٨ — أدلة وجود الله تعالى فى ضوء العقل والنقل منهج وتطبيق بقلم د . السماحى محمد على العرب	٣٤٣ — ٣٩٢
٩ — مهمته المسجد فى عهد النبوة وماينبغى أن يكون عليه الآن بقلم د . محمود يوسف كريت	٣٩٣ — ٤١٠
الفهرست الحوليه	٤١٢

رقم الإيداع ٦١٣٣ / ١٩٩٠